

مقدمة

تتناول هذه الدراسة موضوعاً جديداً بعض الشيء، وهو علاقة اللغة والمجاز برؤية الإنسان للكون وتصوره لعلاقة الخالق بالمخلوق، أي أننا نربط بين عدة مجالات من النشاط الإنساني (الدراسات اللغوية - الدراسات الدينية - الدراسات النفسية). ونحن نذهب إلى أن ثمة نموذجاً معرفياً كامناً وراء كل قول أو ظاهرة إنسانية. هذا النموذج هو مصدر الوحدة وراء التنوع، وهو الذي يربط بين كل التفاصيل، فتكتسب معنى ودلالة وتصبح جزءاً من كل، وليس مجرد معلومة جديدة أو طرفة فريدة. والنموذج هو تجلٍ متعين لرؤية الإنسان للكون، التي تدور حول محاور ثلاثة: الإله - الإنسان - الطبيعة، وهي محاور مترابطة تمام الارتباط، فهي مجرد ثلاثة أوجه لنفس الظاهرة. وإدراكنا هذا الترابط هو ما يجعلنا نرى أن الانتقال من اللغوي (الصور المجازية - وعلاقة الدالِّ بالمدلول) إلى الديني (رؤية الإله) إلى النفسي (مضمون الإدراك)، أمر متسق والمنهج الذي اتبعناه، أي التحليل من خلال النماذج المعرفية.

وحتى أوضح هذه الفكرة سأضرب مثلاً: تذهب الرؤية التوحيدية إلى أن الله رحيم مفارق، منفصل عن هذا العالم، متصل به. خلقه، ولكن لم يهجره، بل يرحاه ويمنحه الهدف والغاية والغرض. من يؤمن بمثل هذه الرؤية يؤمن أيضاً بوجود عدل في الأرض، وأن العالم له معنى، وتحكمه قوانين وسنن. وينعكس هذا على الموقف من اللغة، إذ إن مثل هذا الإنسان سيرى أن اللغة هي الأخرى تشكل نظاماً تحكمه قوانين ثابتة، ولذا يمكن التواصل من خلالها. كما سيتجلى هذا الموقف في